

الى علماء الاسلام الاعلام (*)

« في الاستانة وسائر الولايات المشايخية ومصر وتونس والمغرب والنجف »
« وفارس والقوقاس وقزان والهند وسائر البلاد الشرقية »

كنتم وكانت الامة الاسلامية بكم خير امة اخرجت للناس فأبرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر فيخضع لكم الملوك والامراء ، ونهتدي بكم الدهاء ، كنتم قبتم
أو كنتم ، وبعدم عن الامة وبعدت الامة عنكم ، فسرى الإلحاد الى خواصها
لانكم لستم أنتم الذين تتولون تعليمهم ، واستشرى الفسق والفساد في عوامها
لانكم تركتم وعظهم وارشادهم ، فأنتم مسئولون في الدنيا والآخرة عن أمة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم ، فم تحييون ، وماذا تقولون

اذا أضغ الامة أضغ أنفسكم ، ولا تفرنكم هذه البقية الضئيلة من احترام
الحكام لكم ، واعلموا ان كل ما لكم الآن من بقايا الشرف والرزق يكون
حينئذ على شرف الزوال ، وإن منكم من حمله الشهور بذلك على تعليم أولاده
في مدارس الحكومة أو مدارس الجمعيات النصرانية ليكون آمنة مطمئنا على رزقهم
وكرامتهم في مستقبل أيامهم ، وإن أحدكم يبصوم وأولاده في الدار مضطرون ،
ويصلي وهم لا يصلون ولا يتطهرون ، أرضيتكم ولم بالحياة الدنيا من الآخرة ،
أم تزعموا انكم قتم بما يجب عليكم في هذه التربية الخاسرة ؟

إنكم حرمت في بعض البلاد من جميع أعمال الحكومة الا القضاء في بعض
الامور الشخصية ، والقاضي منكم بالشريعة الاحمدية ، أقل قيمة وراتبا من القاضي
بالتوانين الوضعية ، وحرمت في بعض البلاد من اكثرها ، وستحرمون فيها اذا

(ه) نشرنا هذه المقالة بجزيرة الحضارة في الاستانة

يقيم على حالكم من باقيا ، بل سلبتم ما هو خير من ذلك وهو التعليم العام في مدارس الحكومة ومدارس الامة فلم يبق لكم الا قليل منها في بعض البلاد التي تتعلم الديني فيها بقية رسمية هي كالمضو الأثري الذي لا عمل له ولا تأثير في المصلحة العامة

ما ظلمكم أحد ولكنكم ظلمتم أنفسكم أولا فأغريتم الناس بأن يظلموكم فان كانوا لما فعلوا في بعض البلاد فيسفلون وسيفلون ، وان كانوا قد فعلوا فما فعلوا لا يذكر في جنب ما سيفلون ، وفي أيديكم الآن أن تمنعوا أنفسكم ، وتحفظوا كرامتكم ، وتستعيدوا الزعامة الروحية الاجتماعية لكم في أمتكم ، ولن لكم الآن في عهد حكم الشورى في الدولتين العثمانية والفارسية لفرصة إن اغتمتموها كانت القاضية لكم ، والا فهي القاضية عليكم ، وعلى الأمانة التي في أيديكم ، فكونوا ركن هذا الحكم الركين ، وحصنه الحصين ، تستعيدوا في ظله مجدكم ومجد ملكتكم وأمتكم

ظلمتم أنفسكم أنكم لم تنظروا فيما تجدد للامة والدولة من الحاجات في هذا العصر ، وما ساقتها الضرورة الى اقتباسه من العلوم والفنون ، وما يجب عليكم من حفظ مرتبة التعليم والتربية لأنفسكم ، فانكم لو نظرت في ذلك لسارعتم الى تعلم جميع العلوم والفنون التي لا بد للامة والدولة منها للحفاظ نفسها في هذا العصر ، ثم لاحتكم تطييبها اياه مع التربية الدينية التي تحفظ عليها آدابها وأموالها وصحتها وجامعتها المليية ، انكم لم تفعلوا ذلك ولو فعلتموه لكان خيرا لكم ولا متكم ودولتكم ، وماذا لم تفعلوا ؟

ورأيت منكم من يستدر عن إهمال العلماء لمثل هذا الأمر الجليل باستبداد الحكام ، ورأيت منكم من يستدر بجهالة العوام ، وعدم معرفتهم لقيمة العلماء الاعلام ، ورأيت منكم من يدعي ان العلماء لم يقصروا في شيء ، وانهم قائمون بما يجب عليهم ولكن الزمان قد فسد خلافا لقول الشاعر

يقولون الزمان به فساد وهم فسدوا وما فسد الزمان

ورأيت منكم الحائر الذي لا يدوي كيف يستدر ، ورأيت وسمعت ما لا يتسم

هذا المقال لشرحه واني أذكر السبب الذي أراه أبا لجميع الاسباب ، والعللة التي أراها

هي أم جميع العلل

ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم ، ولا وقع فساد في أمتكم أو حكوماتكم ، الا وسببه تفرقكم واختلافكم ، وعلة تخاذلكم وشقاقكم ، وما شدد دينكم في شيء ، كما شدد في حظر التفرق والخلاف ، ولا اكد شيئا كما كیده وجوب الاجتماع والاتفاق ، فان كان الشيطان قد سؤل لكثير من المختلفين منا ان في الخلاف قوام عصبيتهم ، وحفظ رياستهم ، فقد آن لقلائنا اليوم ان يطلوا ان هذا التفرق سينتهي بالانقراض والزوال ، اذا لم تداركه بالاعتصام والالتزام ، فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وكونوا ائمة الامة التي تدعو الى الخير وتأمر بالعرف وتنهى عن المنكر ، وأعدوا أنفسكم لزعامة هذه الامة بحق ، واهدوها الى مصالح الدين والدنيا بالحكمة والرفق ، كما هو شأن الاسلام في الجمع بين مصالح الدارين ألم تروا ان أهل الملل الذين لم يؤثروا بمثل أمرتم به من الاجتماع والتعاون ، ولم ينهوا مثلا نهيم عن التخاذل والتباين ، قد انفوا جمعيات دينية ، تضاهي ثروتها ثروة الدول الغنية ، فجعلوا أزمة التربية والتعليم في أيديهم ، فحفظوا جامعة دينهم في أقرانهم ، ثم جذبوا اليه كثيرا من أهل الأديان الأخرى حتى في غير بلادهم ، أليس أولي منهم باختكار تعليم أبناء دينكم ، وبتمهيد الدعوة اليه في غير قومكم ، فما لكم لا تنشطون الى ما فيه عزم وشرفكم ، وفي تركه ذلكم وضعفكم ، هاكم الله تعالى ووقاكم

يخطر في بال ضملاء الزمية منكم ان المسلمين لا يبذلون من المال للجمعيات الدينية مثل ما يبذله النصراني في الغرب ، والوثنيون في الهند ، وهذا خطأ عظيم سببه عدم التجربة ، فلو أنشأت جمعية اسلامية وأريتم الناس ثمرتها ، واقتنعوهم بفائدتها ، وجشعواهم في ذلك من أبواب مصالحهم ، وأشرقت عليهم من يافع منافعهم ، لرأيتم انهم أسبق من غيرهم الى الخير ، والتعاون على عمل البر ، فما المسلمون الحاضرون ، الا سلائل أولئك السلف الصالحين ، الذين وقفوا تلك الأوقاف الكثيرة على المدارس والملاجي والمستشفيات ، وجميع ما كان يخطر في البال من أنواع البر والاحسان ، حتى ان بعضهم وقف على الكلاب ، وبعضهم وقف على ضمان المتلفات والضائعات ، الخ

هذا وان لكم من الاوقاف الخيرية التي ضبطتها الحكومة كثرا عظيما ، وان في ايديكم رفع يدها عنها وجعل ادارتها اليكم بمساعدة مجلس الامة ، فان اوقاف جميع المال في تصرف رجال الدين فهل تبقى حقوق المسلمين مسلوبة في عصر الشورى كما كانت في عصور الاستبداد ، انا اذا نحن المغبونون ، وانا اذا نحن الخاسرون ، كلا ان لنا في نجدتكم ايها العلماء ما يجعلنا أسعد الناس في هذا العصر ، وآمنهم في بلادنا من العين والخسر ،

سارحوا الى تأليف الجمعيات في كل قطر ولكن جمعياتكم متمايزة متآلفة لا يصدنكم عن ذلك اختلاف المذاهب ولا اختلاف الالسنة ولا اختلاف الحكومات ، ولا وجود بعض المناقبين فيكم ، الذين يوضعون خلالكم يفتونكم الفتنة وفيكم ساعون لهم ، فيد الله على الجماعة فاجتمروا ، والانحد قوة فاجتهدوا ، واجعلوا أساس الارتباط والاعتصام بينكم الاصول المتفق عليها ، والسامح (والتعاذر) في مسائل الخلاف ، وقد فتح لكم هذا الباب المبارك اخوانكم العلماء الهند بتأسيس جمعية ندوة العلماء وساعدتهم الحكومة الانكليزية على عملهم ومنه التأليف بين أهل المذاهب الاسلامية ونخرج الدعوة الى الاسلام ، فهل يلبق بكم ان تكملوا في ظل الحكومة الاسلامية ، عن مثل ما فعله اخوانكم في ظل الحكومة الانكليزية ؟ ؟

يجب أن تستعينوا على خدمة ملتكم وأمتكم في دولتي الاسلام - العناية والايانية - بالثواب المبعوثين وان لكم في الاجتماع قوة لا يرد معها طلب عادل ، ولا ينبغي معها قصد نافع ، بل يجب أن تجتهدوا في جعل المبعوثين في الانتخاب الآتي منكم ، ومن يساعدكم على خدمة ملتكم ، وان الحكومة النيابية لا تكون اسلامية حقيقة الا اذا كانت الغلبة في مجلسها النيابي لعلماء الاسلام أعني العارفين بسياسة عالية ، وعدائه العامة ، ومساواته بين الناس في الحقوق ، واعلائه لشأن الاجتماع ، ومحافظته على الفضائل والآداب ، وتحقيق هذه المقاصد كلها سهل عليكم في هذه الحكومة فاجدوا الله أن آتقذكم من الاستبداد وجعل الدولة للامة التي أتم زعمائها واشكروا له ذلك باقيام بحقوق هذه الزعامة لعلكم تفلحون